جامعة الأزهر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
قسم الأدب والنقد

«الطبيعة المصرية فى مرآة الشعر عند أحمد شوقى»

مقدمته دكتورة

جميلة محمد عماد الدين محمد

﴿ ٨٤٧ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان

«الطبيعة المصرية فى مرآة الشعر عند أحمد شوقى»

الوصف بمعناه اللغوى: هو التحلية والتجميل، يُقال: وصف الشئ له وعليه وصفا وصفة: حلاه وجمله، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، وتواصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضاً به، وقد اتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار منعوتاً متواصفاً بين القوم به.

وهو عند النحويين أعم وأشمل، إذ جعلوه يتناول المدح والذم، والحسن والقبيح، فيقال: هذا فتى وسيم، وذاك رجل دميم، وفلان له أهل كريم، والآخر له نسب لئيم.

ونحن لا نعنى هذا المعنى ولا ذاك، وإنما نعنى معناه عند الأدباء، وهو عندهم: تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق، إلى غير هذه العناصر التى قد يحتاج وصفها إلى ذوق فنىّ، وتتطلب الإحاطة بنواحيها، والسمو إلى آفاقها وجداناً شاعراً، وإحساسا مرهفاً، وذوقاً سليماً، وكذلك المناظر التى تخلب لبّ المتأمل وتملكه، وتأسر بفتنتها المتمعن وتسحره، فيطيل فى قسماتها التأمل، وفى أجزائها التمعن، ثم يصوره بعدئذ فى الصورة التى يرتضيها ذوقه، ويقبلها فنه، وقد يكون الفن فى أول الأمر ساذجاً فطرياً، يعوزه الصقل والتقويم، وتنقض الدقة والعمق، ولكنه

ما يلبث بعد حين أن يصقل ويكمل ويوفى على التمام(١).

والوصف فى الشعر بعامة من أهم الأغراض التى تنبئ عن حساسية مرهفة، وقوة فى الملاحظة، وتجاوب مع الحياة والكون، وانفعال لما يدور فيهما، وهو من الأغراض الشعرية الخالصة، يقول فيه الشاعر استجابة لنداء وجدانه، واهتزازات نفسه، ليشبع ذوقه الفنى، لا يدفعه إليه رغبه أو رهبة(٢).

والوصف – فى حقيقة الأمر – هو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن، والشوق إلى لقائهن، والرثاء هو وصف محاسن الميت، وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف سوءات المهجوّ، وتصوير نقائصه ومعايبة، وهكذا نستطيع أن ندخل جميع فنون الشعر تحت الوصف، فهو على هذا الوضع كالدوحة الملتفة الأغصان، الفارعة الأفنان، المترامية الظلال(٣).

وأرى أن فن الوصف هو أول ما نطق به الشعراء، لا ما يرى البعض من أن الشعر الحماسى هو أول ضروب الشعر، وحتى وإن رضينا بهذا الذى يقال، فإننا نرجع العشر الحماسى إليه، لأنه وصف لضروب من الشجاعة والفتوة، وعرض لصور من البطولة والقوة.

إنى أرى أن الشعراء حينما تدفقت ألسنتهم بالشعر، تدفقوا واصفين شعورهم

---

(١) شعر الطبيعة فى الأدب العربى بقلم د/ سيد نوفل ص ٤٢، ط ١٩٤٥م، وانظر: البارودى أو فترة من أدبنا» إعداد السيد مرسى أبو ذكرى البدوى – ط ص ١٢٢ – ط ١٩٦٩م.

(٢) وصف الطبيعة وتطوره فى الشعر العربى تأليف/ السباعى بيومى، محمد خلف الله وآخرين ص ٣.

(٣) شعر الطبيعة فى الأدب العربى د/ سيد نوفل ص ٤٢، ٤٣.

ووجدانهم، أو أساهم ووجدهم، أو مصورين نجواهم وشكواهم، أو نعيمهم وملهاهم، وعلى الجملة معبرين عن كل ما يحرك كوا منهم، ويثيرهوا جسهم، ويوقظ أحاسيسهم، ويستبد بمشاعرهم من مناظر أو أحداث، أو مظاهر أو آثار، «وقد برز فيه العرب، وكان لشعرائهم حظ وافر ونصيب كبير منه»(١). نعم نطق الشعراء بالشعر واصفين، ووصف الطبيعة بخاصة من أسمى ما يهدف إليه الشعراء، ويدل على تأثر بالجمال والقوة والعظمة، وإدراك لأسرار الوجود، ونفاذ إلى حقائق الأشياء، فقد كانت الطبيعة وما تزال الأم الرؤوم، والمعلم الأول للإنسان، نشأ فى كنفها تمده بخيراتها، وتوفر له سبل العيش، وتكشف له فى الفنية بعد الفنية عن سر من أسرارها، حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من مدينة وحضارة فصار وصف الطبيعة بخاصة من أسمى ما يهدف إليه الشاعر، ويدل بوضوح على مدى تأثره بالجمال والسحر الخلاب فى الطبيعة الساحرة والفتنة التى أودعها الله فى الكون، ليدرك أسرار الوجود، وينفذ إلى حقائق الأشياء ويتباين الشعراء فى مقدار تأثرهم بالطبيعة المحيطة بهم، وفى ملكتهم المعبرة عما يجيش فى صدورهم وعواطفهم، فمنهم من يقف عند حد المرئيات أو السمعيات ينقل ما فى الطبيعة ملوناً تلونياً خفيفاً بإحساسه الفنى وشعوره العاطفى، ومنهم من يشخصها ويخلع عليها الحياة من روحه هو، وينفذ ببصيرته الملهمة إلى سرها المغلق، ويهيم فى أودية الخيال يعترف من ينابيعها، ويقتطف من أزهارها، وتنعكس نفسه على ما وصل إليه فإذا الذى لهج به لسانه أجمل من الطبيعة وأوفى مقصداً، لأنه فسرها وشرح آياتها ومعجزاتها ونقل كل ذلك إليك فى صورة خلابة تزيده بهاء، «وكان وصف الطبيعة عند الشعراء فى صور بديعة خلابة صادقة التصوير متقنة الأداء تنقل

(١) انظر: الشعر الجاهلى د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٤٥ دار الكتاب اللبنانى بيروت ط ثانية سنة ١٩٧٣م.

إلى السامع والقارئ إحساس الشاعر كاملاً على الرغم من ميلهم إلى الإيجاز، لكن طريقتهم في الإيجاز التعبيري جعل معانيهم مفهومة وإحساسهم بيناً، وأسبغ على شعرهم جمالاً فطرياً خلاباً، وكان من الطبيعي أن يلجأ الشعراء إلى الطبيعة، يستمدون منها تشبيهاتهم، فمناظر تلح على حواسهم صباح مساءَ حتى تشبعت بها مخيلتهم، ولم يجدوا لهم مندوحة حين يتغزلون أو يمدحون أو يصفون أو يهجون أو يطرقون أى موضوع من موضوعات الشعر إلا الالتجاء إلى الطبيعة، وهذا يقفنا على مدى ارتباط الشاعر بالطبيعة، وارتباط وصف الطبيعة بأغراض الشعر الأخرى، وهنا يتجلى موضوع وضع الشعراء أمام الطبيعة، فالشاعر العربي لا سبيل له إلا أن يتملى الطبيعة، ويندمج اندماجاً كلياً فيه، وأن يتَّحِدَ اتحاداً تاماً بمشاهدها، حتى يحس بالطبيعة من خلال الإنسان، ويدرك الإنسان من خلال الطبيعة»[1].

ونؤكد هنا على موقف الشعراء من تصوير الطبيعة: فنقول: «إن من الشعراء من يقف يصور أحد مناظر الطبيعة، ثم يقتصر على ذلك، ولا يضيف إليها من إحساسه ما يدل على شاعريته فيعد أقل حظا من هذا الذى أضاف عليه من شعوره الصادق وإحساسه الفنى قوة تصوير وروعة تقرير وعليه فالشاعر الذى وقف نفسه على تصوير المنظر الخارجي الذى فطن إلى جماله بجميع أبعاده وتفاصيله، فهو لذلك كله أقلهما حظاً من الثراء الفنى فلا فرق بينه وبين «آلة التصوير» وما من أحد يعد ما تعطى هذه الآلة من الفن، إلا إذا أضاف إليه الإنسان المصور شيئاً من ذاته، وأضاف ما يدل على رؤية فردية

(١) انظر: شعر الطبيعة فى العصر الحمدانى ص: ٩٤ وما بعدها د/ محمد على طلب، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

له، وعلى تشكيل جديد لعناصر المنظر الظاهرة أمامه[١].

وعلى ضوء من هدى الصدق النفسى والفنى الذى تتبعه الشعراء وتحروه فى كل تجاربهم وفى شتى مناحى شعرهم .. استطاعوا أن يرهفوا ذواتنا أمام مشاهد الطبيعة، وأن يمهدوا لنا سبيل استشعار الحياة الدافئة فى كافة مظاهرها، وأن نتحرق شوقاً إلى معانقة الوجود[٢].

ولا نبعد كثيراً عن موضوع شعر الطبيعة إذا قلنا إن الطبيعة - بحق تعد رائداً من روائد الإلهام عند الشعراء، واستطاع الشعراء أن يهبوها الحياة، وأن يجسموا الألوان والظلال والأنوار، وأن ينقلوا إلينا صوراً رائعة من جمال الطبيعة التى تأثروا بها وعاشوا العمر كله متيمين بسحرها وجمالها. ولا عجب أن تأثروا بالطبيعة وفتنوا بجمالها وسحرها، وأبدعوا فى تصويرها ونقل مناظرها الرائعة الجذابة، فالطبيعة توحى للشعراء فى كل عصر بكثير من المعانى والآثار الأدبية الرائعة، وقد تغنى بها الشعراء، وصوروها فى مختلف مظاهرها، ورسموا لها صوراً تجمع بين الصدق فى الأداء والبراعة فى الوصف، وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الإحساس وجودة التصوير[٣].

والشعر فى مجال الطبيعة يشمل الطبيعة الصامتة، وتحتوى على الظواهر الكونية مثل: الجبال والكواكب والليل والنهار وما إلى ذلك، والطبيعة الحية! وهى تضم الحيوان من خيل وذئاب وكلاب وطيور وهوام وما إلى

(١) انظر الطبيعة والشاعر العربى د/ حسين نصار ص: ١٥ طبعة دار مصر للطباعة القاهرة سنة ١٩٧٢م.

(٢) انظر: الطبيعة فى شعر المهجر د/ أنس داود ص ٣، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

(٣) انظر: شعر الطبيعة فى العصر الحمدانى ص: ٩٩.

ذلك[١]. وتطالعنا تقسيمات أخرى للطبيعة، فنجد أن «بعض الباحثين يقسم الطبيعة الصامتة قسمين الطبيعية، وهى ما أشرنا إليها، والصناعية، وهى التى عمل الإنسان فى تأليفها وتنسيقها وتشييدها كالقصور والبرك وما شابهها، ويقسمون الطبيعية إلى أرضية تشمل الروض والزهر والثمر والماء والصحراء، وعلوية كالسماء ونجومها وكواكبها وليلها ونهارها، وأمطارها[٢].

وقد اخترت هذا اللون من ألوان شعر أمير الشعراء «أحمد شوقى»، لأنه أغناها بعناصر الجمال، وأحفلها بأسباب الحسن، ويعد شوقى أول شعراء العربية الوصّافين، وأظهرهم فى تناوُل المشاهد والوقائع بالتسجيل، والتصوير الأدبى.

وحسبك أن تتصفح ديوانه لتستبين منه موضوعات الوصف والتى سأتناولها فى البحث بالتفصيل (كالنيل، والأهرام، وأبى الهول، والجزيرة، ومنظر الشروق والغروب من سفينة، والنخلة، والمنار، والربيع، والبلبل الكنارى، والبسفور، وجبال سوسرة، وليلة ساهرة فى عابدين، ومرقص، وقبر نابليون، ومملكة النحل، ومقبرة توت عنخ آمون، ورومة، و«براكين» اليابان، والطيارة، و«كوك صو»، والبحر الأبيض، وطابع البريد، وغواصة، ولبنان، وأنس الوجود..... وغير هذا من المشاهد الأخرى التى أمتلأت فيها الأجزاء الأربعة من ديوانه، وكثير من تلك الأوصاف قد استقل بنفسه، وانفرد بموضوعه، وبعنوانه الخاص، وبعض آخر جاء فى ثنايا غيره، وتبيعاً له[٣].

---

(١) انظر: شعر الطبيعة فى العصر الحمدانى ص ٩٧.

(٢) أنظر: شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابع الهجرى/ عوض على القبارى ص ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٩م، وشعر الطبيعة بين الرصافى البلنسى وابن خفاجة الأندلسى د/ السيد فتح الله عبد العزيز ص ١٨٦، ١٨٧ - مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، ط ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) المتبنى وشوقى دراسة ونقد وموازنة تأليف/ عباس حسن ص ٣٠٧ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

وشاعرنا هو:

أحمد شوقى أمير الشعر والشعراء وأبرع من حمل لواء الشعر بعد البارودى وأعظم من جال بالشعر فى آفاق جديدة، وجعل شعره مرآة لعصره، بل جعله لساناً لمصر والعروبة والإسلام والشرق كله، ومن أصدق ما قيل فى تصوير مكانته الشعرية ما كتبه عنه الرافعى بقوله:

«هذا هو الرجل الذى يخيَّل إلىَّ أن مصر قد أختارته دون أهلها جميعاً لتضع فيه روحها المتكلم، فأوجبت له ما لم توجب لغيره، وأعانته بما لم يتفق لسواه، ووهبته من القدر والتمكين وأسباب الرياسة وخصائصها، على قدر أمة تريد أن تكون شاعرة، لا على قدر رجل فى نفسه، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ شعرى وأدبى، وهذا هو الاسم الذى كان فى الأدب كالشمس من المشرق متى طلعت فى موضع طلعت فى كل مكان، ومتى ذكر فى بلد من بلاد العالم العربى اتسع اسمه فدل على مصر كلها، كأنما قيل النيل، أو الهرم، أو القاهرة.....!!»[١].

ولد أحمد شوقى بالقاهرة سنة ١٨٦٨ وتوفى بها فى ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢[٢]، وينتمى (شوقى) لأسرة مختلفة الأصول والأعراق، فجده[٣] لأبيه تركى يمتد نسبه إلى الأكراد فالعرب، وجدته لأبيه جركسية، عرفت بحزمها وكياستها، وجده[٤] لأمه تركى، قدم مصر فتياً فاستخدمه ابراهيم باشا،

---

(١) الأدب العربى الحديث د/ أحمد عبد الغفار عبيد ص ٤٦، ٤٧ طبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) ذكر فى بعض المراجع الأخرى أنه ولد فى ١٦ من أكتوبر سنه ١٨٧٠م، أنظر: شعر شوقى الغنائى والمسرحى د/ طه وادى ص ٧ ط الثالثة ١٩٨٥ دار المعارف.

(٣) اسمه أحمد شوقى بك، وعنه أخذ شاعرنا الأسم واللقب.

(٤) اسمه أحمد بك حليم النجدى، نسبة إلى قرية «النجدة» من قرى الأناضول.

وزَوَّجَه بجارية معتوقه مورية[١] الأصل.د

تلك هى الأصول التى ينتسب إليها (شوقى) وبسببها يقول: «إنى عربى، تركى، يونانى، جركسى، أصول أربعة، فى فرع مجتمعة، تكفله لها مصر، كما كفلت أبويه من قبل، ومازال لمصر الكنف المأمول، والنائل الجزل، على أنها بلادى، وهى منشئ ومهادى، ومقبرة أجدادى، ولدلى بها أبوان، ولى فى ثراها، أب وجدان، وببعض هذا تُحَبَّب إلى الرجال الأوطان[٢].

وولد شوقى بباب اسماعيل حيث البأس والعزة، وحيث الغنى والثروة، وحيث الترف والنعيم، وحيث العناصر الكثيرة المتباينة التى تبعث الحياة فى ناحية من أنحاء النفس، وتبعث الموت منها فىّ ناحية أخرى، وحيث هذا الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب، وحيث هذه الأثرة التى تخيل إلى صاحبها أن كل شئ مسخر له وأنه هو لم يسخر إلا ليستأثر بنعيم العيش[٣].

درس فى صباه كما درس أقرانه فى المرحلة الابتدائية فالثانوية، ثم التحق بمدرسة الحقوق ودرس بقسم الترجمة، ثم عين مترجماً بديوان الخديوى توفيق، وسافر بعد مدة وجيزة إلى فرنسا لدراسة الحقوق ومكث فيها عامين، عاد بعدهما وقد حصل على شهادة الحقوق. وبقى يعمل فى بلاط الأسرة الحاكمة رئيساً لقلم الترجمة، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى غضب عليه الانجليز، ونفوه إلى أسبانيا، ثم عاد منها بعد انتهاء الحرب، وعين عضواً بمجلس الشيوخ سنة ١٩٢٤م[٤].

ظل شوقى يملأ الساحة الأدبية بفنه الشعرى، ويستحوذ على إعجاب

(١) من بلاد المورة، إحدى المقاطعات اليونانية إذ ذاك.
(٢) المتنبى وشوقى تأليف/ عباس حسن ص ٣٧.
(٣) حافظ وشوقى د/ طه حسين ص ١٨٧ ط الثانية ١٩٥٣م.
(٤) الأدب العربى الحديث د/ أحمد عبد الغفار عبيد ص ٤٧.

الجمهور في أصقاع الوطن العربى فقد أمسك شوقى بأهداب الخيط الذهبى الساحر الذى التقطته شاعرية البارودي اللماحة وأزجت بوساطته للشعر العربى فى العصر الحديث وشياً عبقرياً أخاذاً، وصاغ منه الشعراء بعد ذلك ألواناً من اللوحات البديعة كل حسب موهبته وطاقاته الفنية وكان شوقى أبرع هؤلاء وأكثرهم افتناناً، وأوسعهم تصرفاً فى ضروب الفن، وأبناء الخيال، فطوّف شعره فى الخافقين، وجذب إليه القلوب، وعطف عليه الأسماع(١).

وقد يشهد شوقى أنواعاً شتى من الأحداث التى مرت بها مصر، فأدرك ما كان قبل الاحتلال من شبه استقلال، وعاصر الثورة العرابية، وشاهد الاحتلال الانجليزى لمصر، ثم عاصر الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد، وانضم إليها وآزرها بشعره، فلما رجع من المنفى فى أعقاب ثورة ١٩١٩ مجدها مرات، وأشاد بالجهاد والمجاهدين وعاش بعد ذلك يرقب الجهاد الوطنى الذى يثب تارة، فيغنى له شوقى ويستحث خطاه، ويتعثر تارة، فيأس شوقى، لكنه لا ييأس من النصر والنجاة، فقد كان شوقى شاعر الوطنية، سجل فى شعره كثيراً من أحداث مصر، وتغنى بحبها، وصدح بماضيها العظيم وحاضرها المشرق، وحزن لضعفها واستنهض العزائم لإنهاضها، وصور آلامها وآمالها(٢).

تغنى شوقى على أوتار شتى من قيثارته، فمدح ورثى وتغزل ووصف الطبيعة والآثار الفرعونية والعربية، وكانت مدائحه ومراثيه بعد النفى اشادة برجالات الوطنيه والسياسة والإصلاح، وابتكر الشعر المسرحى برواياته: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعلى بك الكبير، والست هدى.

---

(١) الأدب العربى الحديث د/ أحمد عبيد ص ٤٨.

(٢) الاتجاه الروحى فى شعر شوقى د/ أحمد محمد الحوفى طبعة ١٩٦٧م، وانظر: وطنيه شوقى للحوفى طبع مكتبه نهضة مصر بالفجالة.

وطالما رجَّع ألحاناً فى السياسة والوطنية والاجتماع والأخلاق والتاريخ، وبخاصة بعد أن تحرر من قيد الوظيفة، وزخرت نفسه بعواطف الشعب المصرى والشعوب العربية والاسلامية التى كان يعبر عنها بالشرق، فانطلق يغرد لمصر وللعروبة وللاسلام وللأديان السماوية بصوت أقوى، ونغم أشجى، ونفس أطول، وعاطفه أحَدّ وأمضى، فاستحق أن يبايعه شعراء العربية بالامارة فى مهرجان كبير بالقاهرة سنه ١٩٢٧ فصار يلقب بأمير الشعراء(١).

وكثيراً ما عنى شعر دينى فى شبابه ورجولته وكهولته قبل أن ينفى وفى سنوات النفى وبعد أن عاد من المنفى، فهو مسلم معتز بدينه، وهو غيور على الإسلام، وغيور على المسلمين وله الكثير فى الشعر الإسلامى، وشوقى شاعر مكثر ذو شاعرية فياضة لم يدع ميداناً من ميادين القول ولا غرضاً من أغراض الشعر إلا ضرب فيها بسهم، وعلت قامته فيها بين غيره من الشعراء، فله فى المدح والوصف والتهانى والتعازى وشعر المناسبات وله فى المدائح النبوية، وفى تسجيل أمجاد الماضيين ووصف آثارهم، وله فى آثار الفراعنة وأهراماتهم، كما وصف أبا الهول وقصر أنس الوجود وأشاد بوقائع الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وانتصارات الإسلام الكبرى، وله فى الاجتماعيات نصيب وافر، وله فى الحث على تعليم الأبناء والبنات ونبذ العادات الإجتماعية المرزولة، وله ديوان سماه ديوان شعر الأطفال فيه كثير من الأناشيد، وله فى القصص الرمزى على لسان الطيور والحيوانات، وفضلاً عن ذلك كله له مطولات تاريخية ومسرحيات شعرية ونثرية(٢).

---

(١) الإسلام فى شعر شوقى د/ أحمد الحوفى ص ٧ طبعة القاهرة شوال ١٣٩٢هـ - نوفمبر ١٩٧٢م.

(٢) الأدب العربى الحديث د/ أحمد عبيد ص ٥٠ وانظر الإسلام فى شعر شوقى للحوفى ص ٧، والاتجاه الروحى للحوفى ص ٤.

﴿ ٨٥٧ ﴾

ميادين وصف الطبيعة عند أحمد شوقى

وإذا نظرنا إلى الوصف فى شعر شوقى فسوف تطالعنا لوحات فنية تكاد تنطق سر الإعجاز الفنى لهذه المخيلة التى تمتلك تلك القدرة الفريدة على تركيب الصور ومزجها بألوان مصفاة لتخرجها مجلوة تكاد وتتحرك(١).

والحق أن «شوقى» قد قضى للطبيعة المصرية حقها وقد أجاد وصفها وحلق فيها بخياله ما شاء أن يحلق وخاطبها وشخصها فجاء وصفه لها دقيقاً «يصور الروضة» فيجيد عرض محاسنه ويجلوها فى جمال أخاذ، ويصف القصر فتأخذك روعته وبهاؤه وجمال شرفاته، ويصف البحر فتحس بأمواجه المتدفقه تغمرك برشاشها وزرقته الذاهية تسلبك النظر إليها والتحديق فيها(٢).

وقد جادت شاعرية «شوقى» بتحف فنية رائعة حين شدا بجمال مصر وتغنى بنيلها وأرضها وسمائها وشمسها ونخيلها ومائها، وليس هذا بغريب عليه فقد كان يحب مصر ويعتز بجمالها وعظمتها ويصف هذا الحب فى إحدى قصائده قائلاً(٣):

أحبك مصر من أعماق قلبى		وحبك فى صميم القلب نام(٤)

لقد كانت الطبيعة عند «شوقى» لوحة فنية بديعة يروعه من مظاهرها

---

(١) مقومات الشعر العربى الحديث والمعاصر د/ محمود حامد شوكت ص ١٣٤ طبعة دار الفكر العربى.

(٢) الطبيعة بين المحافظين والمجددين فى الشعر العربى الحديث فى مصر - رسالة ماجستير مقدمة من مفيدة ابراهيم على عبد الخالق ص ٩٤، ٩٥ - سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٣) الشوقيات جـ ١ ص ٢١١ طبعة دار الكتاب العربى بيروت - لبنان.

(٤) فى صميم القلب: أى فى القلب والصميم: الخالص من الشئ.

ما يروعه فيتجه إليها بالوصف ويبدع القول فيها، وبذلك كان هذا الضرب من الشعر تعويضاً عادلاً من قرون قبله خلت من مثل عبقريته الفذة.

وإذا اعتبرنا أن المصدر الأول للوحى والإلهام فى الأدب هو البيئة الخاصة التى يعيش فيها الأديب فلا عيب على «شوقى» إذا وجدناه عنى فيما عنى بوصف مجالى الطبيعة وكان متأثراً بحياته فى القصر وما حفلت به من نعيم مترع كان يعيش فيه ويتنقل فى ظله الظليل بين الجداول والرياض والقصور الباذخة مما دعاه إلى القول بتوسع فى مثل هذه المظاهر، ولكن هناك العديد من القصائد التى كان يبدعها بين الحين والحين الآخر متغنياً فيها بجمال مصر وسحر طبيعتها وجلال نيلها الذى حظى منه بمكانة واسعة، ومن خلال استعراض للعصور الأدبية المختلفة واضطلاعى على «شعر الطبيعة» فيها، لم أجد شاعراً مصرياً قد عنى بالنيل مثلما عنى به «شوقى» ولا وصفه بمثل الإجادة التى وصفه بها «شوقى» فالذى نلاحظه أن نهر النيل لم يجد فى الأدب العربى القديم من يعنى شأنه، سواء أكان الشاعر ممن زاروا مصر وأقاموا فيها على ضفاف النهر أم ممن سمعوا به، وكان من الجائز أن يصفوا على السماع كما فعل الشعراء الإنجليز»[1].

أما شوقى فقد اهتم بالنيل اهتماماً كبيراً فهو مانح الخصب والرخاء وهو من أبرز مظاهر طبيعتنا المصرية وأكبر مشخصاتها، وهو الذى اقترن اسمه باسم مصر منذ أن أطلق المثل السائر على لسان المؤرخ (هيرودوت) لأول مرة (مصر هبة النيل). لهذا كان لـ «شوقى» قصائد رائعة فى النيل أهمها قصيدة (أيها النيل) التى تعد من أقوى قصائد الشعر العربى وأبرزه.

(١) نهر النيل فى الأدب العربى د/ محمد عوض محمد ص ٨١٧ طبعة أغسطس ١٩٥٧م.

التى كتبها سنة ١٩١٤م، وتعد مثالاً لنضج البناء الفنى للقصيدة عنده، إذ لا شئ أصدق من شعر الشاعر يصف لنا سماته ومميزاته[١].

وهى قصيدة تربو على مائة وخمسين بيتاً وهو يستهلها بقوله:

من أى عهد فى القرى تَتَدفَّقُ		وبأى كفٍ فى المدائن تغدقُ
ومن السماء نزلت أم فُجِّرْتَ من		عليا الجِنَان جداولاً تترقرقُ
وبأىِّ عينٍ أم بأيةِ مُزْنَةٍ		أم أى طوفان تفيضُ وتفهقُ
وبأى نَولٍ أنت ناسِجُ بردةٍ		للضفتين جديدها لا يخلقُ
تسود ديباجاً إذا فارقتها		فإذا حَضَرْتَ اخْضَوْضَرَّ الإستبرقُ[٢]

أول ما يلاحظ على هذه القصيدة أنه على الرغم من وحدة موضوعها تنتقل عبر محاور أدبية عدة، يحاول الشاعر أن يخلق فيها ما يؤكد لتجربته الفنية وحدتها وكمالها؟ ويبدأ الشاعر قصيدته بالتساؤل عن مصدر تدفق النيل الذى تعى منابعه العقول، مما جعل القدماء يؤلهونه، ويسأله عن هذه الكف السخيه التى يغدق بها على المدن ويسأله عن مصدر فيضه أمن السماء نزل؟ أم من عليا الجنان تدفقت ينابيعه ثم بأى نول ينسج بضفتيه برده الخصب العجيبة التى لا تبلى؟!

وبعد أن يفرغ الشاعر من تساؤلاته التى تحيره شرع فى وصف بردة الخصب العجيبة وما يصيبها من تغير ألوانها وتبدل أحوالها تبعاً لتغير حال النهر وجوده بالماء أو شحه. ثم يتحدث الشاعر عن تأليه الأوائل للنيل وعبادتهم له، فقد جعلوا الحب والوقار عباده له فمصر لولاه لصارت جرداء

(١) انظر شعر شوقى الغنائى والمسرحى ص ٢٦.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٦٥.

قاحلة وهو مصدر رزق لها ورخاء ونعيم وفى هذا يقول[١]:

دين الأوائل فيك دين مروءة ... لم لا يؤله من يقوت ويرزق؟
لو أن مخلوقاً يؤلّه لم تكُنْ ... لسواك مرتبة الألوهة تخلق[٢]
جعلوا الهوى لك والوقار عبادة ... إن العبادة خشية وتعلق
دانوا ببحر بالمكارم زاخر ... عذب المشارع، مده لا يلحق
متقيد بعهوده ووعوده ... يجرى على سَنَن الوفاء ويصدق[٣]

يتقبل الوادى الحياة كريمة ... من راحتيك عميمة تتدفق
متقلب الجنبين فى نَعْمَائِه ... يعرى ويصبغ فى نداك فيورق
فيبيت خصباً فى ثراه ونعمة ... ويعمه ماء الحياه الموسق[٤]

ثم ينتقل الشاعر من وصف النيل إلى وصف الفراعنه وتاريخهم وأمجادهم ويتساءل عن هؤلاء الفراعنه الذين استذرى[٥] بهم عيسى ويوسف وموسى الكريم وأمجادهم من حكمة وعلم وروعة بناء وعقيدة الخلود التى هاموا بها فبنوا من أجلها الهياكل فكان بعضها (كالبروج) وبعضها (كالطود الأشم) تتراءى للناظر جدداً كأول عهدها مهما تقادم بها الزمن.

وبعد أن ينتهى الشاعر من حديثه عن الفراعنه يلتفت إلى النيل وبخاصة أن الأيام وإن اختلفت على الناس فإن النيل قد أخذ من الزمان أيام العز وأعياده المشرقة التى لم تتأت للفرس على عظمتهم ولا رأت بغداد أو دمشق مثلها مع ما كان لهما من سلطان، فكم شهدت ضفاف هذا النهر الخالد

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٦.
(٢) تخلق: أى تكون خليقه وجديرة.
(٣) السنن: النهج.
(٤) الموسق: اسم فاعل من أوسق، والهمزة فيه للتعدية، وثلاثية وسق من وسقت الشاه ونحوها بمعنى لقحت، أو من وسقت الشئ إذا حملته.
(٥) استذرى بفلان: التجأ إليه، واستذرى بالشجرة: أى استظل بها.

﴿ ٨٦١ ﴾

من عودة للجيوش المظفرة بفتح المماليك أو من الاحتفال بيوم العجل (أبيس) أو يوم القبور أو يوم زفاف العروس إلى النيل فى عيده، فهذه كلها مواكب لم تشهد القرون لها ندا. ثم ينتقل إلى الحديث عن مواكب فرعون التى اختالت بها الدنيا حيث عاد مظفراً فى موكب رهيب خشعت له الأبصار ثم إلى عادة قدماء المصريين فى إلقاء عذراء فى النيل كل سنة لتزف إليه هذه العذراء يختارونها من الجميلات اللاتى تتعلق القلوب بحبها ثم تكون غاية ما يبلغه حظها هو الزفاف إلى النيل والحظ إن بلغ نهايته كان فيه الهلاك ويصور الشاعر هذه المشاعد بقوله:

خلع الزمان على الورى أيامه ... فإذا الضحى لك حصة والرونق
لك من مواسمه ومن أعياده ... فأتحسر الأبصار فيه وبترق[1]
لا (الفرس) أوتوا مثله يوما. ولا ... (بغداد) فى ظل (الرشيد) و(جلق)[2]
فتح المالك، أو قيام (العجل)، أو ... يوم القبور، أو الزفاف المونق؟
كم موكب تتخايل الدنيا به ... يجلى كما تجلى النجوم وينسق!
(فرعون) فيه من الكتائب مقبل ... كالسحب. قرن الشمس منها مفتق[3]
تعنو لعزته الوجوه، ووجهه ... للشمس فى الآفاق عان مطرق
آبت من السفر البعيد جنوده ... وأتته بالفتح السعيد الفيلق[4]
ومشى الملوك مصفدين، خدودهم ... نعل لفرعون العظيم ونمرق[5]
مملوكة أعناقهم ليمينه ... يأبى فيضرب، أو يمن فيعتق
ونجيبة بين الطفولة والصبا ... عذراء، تشربها القلوب وتعلق

(١) تحسر: من حسر البصر كل لطول مدى.
(٢) حلق: دمشق.
(٣) متفق: من فتح قرن الشمس أصاب فتقا من السحاب فبدأ منه.
(٤) الفيلق: الكتيبة العظيمة.
(٥) النمرق: الوسادة الصغيرة.

﴿ ٨٦٢ ﴾

كان الزفاف إليك غاية حظها		والحظ إن بلغ النهاية مُويق[١]
لافيت أعراسا، ولافت مأتما		كالشيخ ينعم بالفتاة وتزهق
فى كل عام درة تلقى بلا		ثمن إليك وحرة لا تصدق[٢]
حول تسائل فيه كل نجيبة		سبقت إليك: متى يحول فتلحق؟
والمجد عند الفانيات رغيبة		يبغى كما يبغى الجمال ويعشق
إن زوجوك يهن فهى عقيدة		ومن العقائد ما يلب ويحمق[٣]

ويستوقفنا فى مجال التعبير الفنى – كمثال – ما استعان به شوقى من خيال خلاق عند حديثه عن «عروس النيل»، إذ هى أولاً (نجيبة) وهذه الصفة توحى بالامتياز فى كل شئ: سواء من حيث الذكاء أو عراقة الأصل أو جمال الشكل والروح. ثم يحدد الشاعر عمرها الزمنى (بين الطفولة والصباح وهذا الجمال المادى والمعنوى لتلك العروس الفاتنة يجعل القلوب لا تحبها فحسب بل تشربها وتعلق بها، كأنها – أى العروس – قدر لا تملك القلوب إلا الحرص عليه والتمسك به، ثم يردف ذلك بصفة أخرى هامة بالنسبة للعروس، وهى أنها (عذراء)..... هذه بعض المعانى والصور الفنية التى يمكن أن تخرج بها من بيت واحد فى القصيدة هو:

١– ونجيبة		٢– بين الطفولة والصبا		٣– عذراء
٤– تشربها القلوب وتعلق.

كما توصف هذه العروس مرة أخرى بأنها «درة» أى لؤلؤة نادرة ثمينة، ثم هى زوجة «مرة» تزف باختيارها إلى الزوج دون صداق أو مهر..

---

(١) موبق: مهلك.
(٢) تصدق: من أصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقها.
(٣) يلب: من لب أى صار لبيبا.

﴿ ٨٦٣ ﴾

وبعد ذلك يصور الشاعر موكب الزفاف بقوله:

زفت إلى ملك الملوك يحثها		دين ويدفعها هوى وتشوق
ولربما حدت عليك مكانها		ترب تمسح بالعروس وتحدق
مجلوة فى الفك يحدو فكلها		بالشاطئين مزغرد ومصفق
فى مهرجان هزت الدنيا به		أعطافها واختال فيه المشرق[1]

هذه اللوحة الفنية الرائعة للزفاف لا يترك فيها شوقى سمة مادية أو معنوية إلا وحاول أن يبرزها، حيث العروس تزف إلى ملك الملوك مسرعة نحوه بواجب الدين ودافع الحب، وسفينة العروس تسير بزفتها فى النيل بينما الشاطئان قد عمت الفرحة كل من سار عليهما، لذا فهما بين مصفق ومزغرد. وأتراب العروس ومثيلاتها فى السن والجمال يحسدنها على الرغم من إحاطتهن بها وتحديقهن فيها، فالزفاف هنا - كما تصوره اللوحة الشعرية - زفاف حقيقى ينبض بالحياة والحركة، حيث امتزجت الذات المبدعة بالموضوع المتخيل، فترتب على هذا إحكام الخلق الفنى للتجربة الأدبية.

ويصل شوقى إلى درجة معجزة من التعبير حين يصف لقاء العروس بالنيل، تحمل له شوق المحب المضحى بكل ما يملك فى سبيل من أحب:

ألقت إليك بنفسها ونفيسها		وأتتك شيقة حواها شيق
خلعت عليك حياءها وحياتها		أأعز من هذين شئ ينفق؟

التعبير فى هذين البيتين كما ذكرنا - على بساطته - معجز، يتضافر فى إعجازه قوة المعنى وجمال التعبير وتجانس الحروف الصوتيه. فهناك من تلقى بنفسها ونفيسها، فأتى إلى الحبيب شيقة حواها شيق، ثم تضحى من أجله

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ٦٩.

وتخلع عليه حياءها وحياتها، فعمق الدلالة المعنوية يواكبه حركة موسيقية تساعد على كمال خلق الإطار العام للصورة بدلالاته الثرية المؤثرة فى النفس بعد هذه الدقة فى التصوير والتعبير يذكر شوقى حكمة تجعلنا نقدر تضحية هذه العروس، مؤداها أن الحب إذا بلغ غايته كان الوفاق على أن يضحى الحبيب من أجل حبه شيئاً طبيعياً، فليس هناك أليق فى باب الفداء من التضحية بالروح، وهى أقصى ما يمكن أن يجود به البشر:

وإذا تناهى الحب واتفق الفدا فالروح فى باب الضحية أليق[١]

ويفخر شوقى كذلك بأن النيل مهد الحضارة، فى واديه نبتت، وعلى عِبْريه ترعرعت، وضاع عبيرها فنيه الأمم، وهذه الآثار الخالدات، وصحائف البردى العتيقات نواطق وشواهد. وإلى مصر وفد العطاش إلى المعرفة فارتووا، ومنها تَبَلَّج نور التوحيد منذ إختاتون[٢]:

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك مخلق[٣]
ولدت، فكنت المهد، ثم ترعرعت فأظلها منك الحفى المشفق
ملأت ديارك حكمة، مأثورها فى الصخر والبردى الكريم منبسق[٤]
وبنت بيوت العلم باذخة الذرى يسعى لهن مغرب ومشرق
واستحدثت دنيا، فكان فضائلاً وبناء أخلاق يطول ويشهق[٥]
مهد السبيلُ لكلِّ دينٍ بعده كالمسك رياه بأخرى تفتق[٦]
يدعو إلى برٍّ، ويرفع صالحاً ويكاف ما هو للمروءة مخلق

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ٧٠ – وانظر شعر شوقى د/ طه وادى ص ٢٨، ٢٩.
(٢) وطنية شوقى د/ أحمد محمد الحوفى ص ١٠١.
(٣) مخلق: متطيب.
(٤) منبسق: مسطر.
(٥) يشهق: من شهق الجبل: ارتفع.
(٦) تفتق: من فتق المسك بغيره استخرج رائحته بشئ يدخله عليه.

وظل شوقى يتنقل فوق قمم التاريخ حتى وصل إلى العصر الحاضر، وقال مخاطباً النيل بأنه مدحه لا عن تكلف، ولكنه الحب الصادق وقد كلف بحب النيل، لأنه سيخلف لديه أولاده وديعه بعد أن يمضى عن هذه الدنيا، وهم ريحانه القلوب، حتى ليهفو إليهم بعد أن يضمها الثرى[١]:

لى فيك مدحٌ ليس فيه تكلفٌ		أملاه حب ليس فيه تملقُ
مما يحملنا الهوى لك أفرخ		سنطير عنها وهى عندك ترزق
تهفو إليهم فى التراب قلوبنا		وتكاد فيه بغير عرق تخفق[٢]

وإذا كان الشاعر لم يكتف فى قصيدته بالحديث عن النيل وإنما داخل بينه وبين موضوعات أخرى من قصص دينيه وحضارية وفرعونية، فإنه قد وصل بينها وبين حديثه عن النيل فى لطف وسهولة فأحكم صياغتها وجعلها كلها وحدة متماسكة[٣].

ووضع كذلك نشيداً جميلاً للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال[٤]:

النيل العذب هو الكوثر		والجنة شاطئه الأخضر
رَيَّان الصفحة والمنظر		ما أبهى الخلد وما أنضر
البحر الفياض القدس		الساقى الناس وما غرسوا
وهو المنوال لما لبسوا		والمنعم بالقطن الأنور
جعل الإحسان له شرعاً		لم يخل الوادى من مرعى
فترى زرعاً يتلو زرعاً		وهنا يجنى وهنا يبذر

(١) وصف الطبيعة متطورة فى الشعر العربى تأليف/ السباعى بيومى، محمد خلف الله ص ١٣٧ نشر مكتبة نهضة مصر - الفجالة.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٧٣، ٧٤.
(٣) الطبيعة بين المحافظين والمجددين د/ مفيدة ابراهيم ص ١٠٠.
(٤) شعراء الوطنية/ عبد الرحمن الرافعى ص ٩١ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م مكتبة النهضة المصرية.

جـــار ويـــرى ليـــس بجـــار ... لأنـــــاة فيـــــه ووقـــــار
ينصـــــب كتـــــل منهـــــار ... ويضـــــج فتحســـــبه يـــــزأر

والحق أن مظاهر الطبيعة على اختلافها قد هام بها الشاعر وتغنى بمناظرها الساحرة وأخذت مكانها من شعره فها هو يصف الربيع قائلاً:

آذار أقبـل، قـم بنـا يـا صـاح ... حـــى الربيـــع حديقـــة الأرواح
واجمع ندامـى الظـرف تحت لوائـه ... وانشـر بسـاحته بسـاط الـراح
صفوا أتيح، فخـذ لنفسـك قسـطها ... فـالصفو ليس علـى المـدى بمتـاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقاً ... لتجـاوب الأوتـار والأقـداح
واسـتأنس مـن السـقاة برفقـة ... عـز، كأمثـال النجـوم، صبـاح
رقـت كندمـان الملـوك خلالهـم ... وتجملـوا بمـروءة وسـماح
واجعل صبوحك فى البكور سليلة ... للمنجبيـن: الكـرْم والتفـاح[1]
مهما فضضـت دنانهـا فاستضحكت ... ملـئ المكـان سـنى، وطيـب نقـاح
تطغـى، فـإن ذكـرت كريـم أصولهـا ... خلعت على النشوان حلية صاحى
(فرعـون) خبأهـا ليـوم مفتوحـة ... وأعـد منهـا قربـة (لفتـاح) [2]
مـا بيـن شـاد فـى المجـالس أيكـة ... ومحجبـات الأيـك فـى الأرواح[3]
غـرد علـى أوتـاره، يوحـى إلـى ... غـرد علـى أغصانـه، صَـدَّاح
بيـض القلانـس فـى سـواد جلابـب ... حُلِّيْـنَ بـالأطواق والأوضـاح
رتلـن فـى أوراقهـن ملاحنـا ... كالراهبـات صبيحـة الإفصـاح
يخطـرن بيـن أرائـك ومنـابر ... فـى هيكـل مـن سـندس قيَّـاح
ملـك النبـات، فكـل أرض داره ... تلقـاه بـالأعراس والأفـراح
منشـورة أعلامـه، مـن أحمـر ... قـان، وأبيـض فـى الرُبَـى لمَّـاح

(١) الصبوح: ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه.
(٢) أحد آلهة قدماء المصريين.
(٣) الأيك: الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدد والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.

لبست لمقدمة الخمائل وشيها ومرحن فى كنف له وجناح
يغشى المنازل من لواحظ نرجس آنا، وآنا من ثغور أقاح[١]
ورؤس «منثور» خفضن لعزه تيجانهن عواطر الأرواح
الورد فى سرر الغصون مفتح متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض، مميز دون الزهور شوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلاً مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه بالليل ما نسجت يد الإصباح
ينبيك مصرعه - وكل زائل - أن الحياة كغدوة ورواح
ويقائق النسرين فى أعضائها كالدر ركب فى صدور رماح[٢]
«والياسمين»، لطيفة ونقية كسريرة المتنزه المسماح
متألق خلل الغصون، كأنه فى بلجة الأفنان ضوء صباح[٣]
و«الجلنار» دم على أوراقه قانى الحروف، كخاتم السفاح
وكأن مخزون «البنفسج» ثاكل يلقى القضاء بخشية وصلاح[٤]

هذا هو الربيع وهذه هى مظاهره فى تلك الشوقية فهو ملك النبات، تقيم رعيته الأفراح لمقدمه، فتنشر بين زهرها أعلاماً بيضاء وحمراء وتتجمل الخمائل بما تكتسى من وش، وتزدان المنازل بلواحظ النرجس وثغور أقحوانه، ورؤس وياسمين وجلنار وبنفسج، تلك الزهور التى تناولت عبقرية الشاعر وصفها فى دقة وجلت بها مظاهر الربيع، وفى اللفظ عذوبة وفى السرد نغمة محبوبة، والمناظر الموصوفة هى مناظر الربيع لامراء، فلا التباس بينها وبين

(١) أقاح: واحدها أقحوانه وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء.
(٢) يقائق: جمع يقق، وأبيض يق أى شديد البياض ناصعه، والنسرين: ورد أبيض عطرى قوى الرائعة.
(٣) البلجة: آخر الليل عند انصداع الفجر.
(٤) الشوقيات جـ ٢ ص ٢٢ - ٢٤.

مناظر الصيف والشتاء[١].

ومن أوصافه الفريدة فى هذه القصيدة قوله فى النخل:

و«النخل» ممشوق العذوق، معصب ... متزين بمناطق ووشاح
كبنات فرعون شهدن مواكبا ... تحت (المراوح) فى نهار ضاح[٢]

ومن أوصافه البديعة أيضاً فى النخيل ما بين المنتزة وأبى قير فى صيف الاسكندرية إذ يقول فى رسمه للنخيل:

تخال إذا انقدت فى الضحى ... وجر الأصيل عليها اللهب
وطاف عليها شعاع النهار ... من الصحو، أو من حواش السحب
وصيفة فرعون فى ساحة ... من القصر واقفة ترتقب
قد اعتصبت بفصوص العقيق ... مفصله بشذور الذهب
وناطت قلائد مرجانها ... على الصدر، واتشحت بالقصب
وشلت على ساقها مئزراً ... تعقد من رأسها للذنب
أهذا هو النخل ملك الرياض ... أمير الحقوق، عروس العزب؟ [٣]

فنحن نرى صورة كاملة رسمت وصيفة فرعون مقرونا إلى النخلة وكأن خيال «شوقى» على هذه الشاكلة الطائرة التى تضم شيئاً بعيداً إلى شئ بعيد، وهو لذلك خيال متألق ففيه هبات السماء، واشعاعات الشعر التى ترفعنا من دنيانا الحية إلى دنيا حالمة واهمة، وهذه أبلغ صورة لعمل الخيال، إذ يطلق عنانه لا للإتيان بألفاظ يحشدها ويرصها رصاً، وإنما لنقل الصورة الحية التى يلم بها نقلا دقيقاً، فيبرز لنا جوانبها المختلفة.

---

(١) انظر شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى/ عباس محمود العقاد ص ١٧٤، ١٧٥ نهضة مصر للطباعة والنشر - الفجالة - القاهرة.
(٢) قصيدة الربيع ووادى النيل - الشوقيات جـ ٢ ص ٢٤.
(٣) الشوقيات جـ ٤ ص ٦٤.

وله فى ثنايا قصائده عشرات المقطوعات فى وصف مصر وجمالها كقوله من قصيدته التى مطلعها:

يا نائح (الطلح)[١]، «أشباه عوادينا»[٢] تشجى لواديك، أم نأس لوادنيا؟
لكن مصر وإن أغصت على مقه[٣] عين من الخلو يا كافور تسقينا
على جوانبها رفت تمائمنا وحول حافاتها قامت رواقينا[٤]
كأم موسى، على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا[٥]
ومصر كالكرم ذى الإحسان: فاكهة لحاضرين، وأكواب لبادينا[٦]

وله قصيدة أخرى عظيمة تشتمل على وصف الربيع ومطلعها[٧]:

مرحبا بالربيع فى ريعانه وبأنواره، وطيب زمانه
زفت الأرض فى مواكب آذار وشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا طول أنهاره وعرض جنانه
لف فى طيلسانه طرر الأرض فطاب الأديم من طيلسانه
ساحر فتنة العيون مبين فصل الماء فى الربا بجمانه
عبقرى الخيال، زاد على الطيف وأربى عليه فى ألوانه
صبغة الله! أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بنانه
رنم الروض جدولاً ونسيما وتلا طير أيكه غصن بانه
وشدت فى الربا الرياحين همساً كتغنى الطروب فى وجدانه

(١) الطلح نوع من شجر، سمى به واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به.
(٢) عوادينا: عوادى الدهر النازلة بنا، وهى مصائبة.
(٣) المقه: المحبة.
(٤) الرواقى: واحدها راقية، وهى التى ترقى الصبى إذا كان به سحر.
(٥) شبه مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج إلى المنفى - بأم موسى عليه السلام حين القته فى اليم صبياً وسألت الله أن يكفله.
(٦) الشوقيات جـ ٢ ص ١٠٤، ١٠٥.
(٧) الشوقيات جـ ٢ ص ١٩٠، ١٩١.

كـــل ريحانـــة بلحـــن كعـــرش ألفـــت للغنـــاء شـــتى قيانـــه
نغـم فـى السـماء والأرض شـتى مـن معـانى الربيـع أو ألحانـه

هذه هى أبياته فى وصف الربيع، وهى ساحرة الصوغ، والمعنى، والخيال، وما أعرف شاعراً عربياً قاربها فى ناحية من نواحيها الثلاث السالفة[١].

وقد خلف شوقى ألواناً بديعة من الوصف كما خلف القدماء فرسم الماء والسماء وما بينهما ولبث يصير الجمال فى كل درب، فلننظر إلى قوله فى نهار جميل[٢]:

وترى الفضاء كحائط من مرمر تصـدتّ عليـه بدائـع الألـواح
الغيـم فيـه كالنعـام: بدينـة بركـت، وأخـرى حلقـت بجنـاح
والشمس أبهى من عروس برقعت يـوم الزفـاف بعسـجد وضـاع
والمـاء بـالوادى يخـال مسـارباً مـن زئبـق، أو ملقيـات صفـاح[٣]

رسم فيه الفضاء، والسماء، والشمس ثم عرض للسواقى.. ثم قال فى رقة وعذوبة وجمال:

وجرت سواق كـالنواداب بـالقرى وعـن الشـجى بأنـّة ونـواح
الشاكيات وما عرفن صبابـة الباكيـات بمدمـع سَـحَّاح
مـن كـل باديـة الضلـوع غليلـة والمـاء فـى أحشـائها، ملـواح[٤]
تبكى إذا رتبت، وتضحك إن هفت كـالعيش بيـن تنشـط ورزاح[٥]

(١) المتنبى وشوقى عباس حسن ص ٣١٠.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٢٤.
(٣) صفاح: واحدة صفح وهو عرض السيف.
(٤) الملواح: السريع العطش.
(٥) رزحت الناقة رزوحاً ورزحاً: القت نفسها اعياء وهزالا.

﴿ ٨٧١ ﴾

هى فى السلاسل والغلول، وجارها أعمى، ينوء بنيره الفداح[١]

فإذا نظرنا لقوله (كالعيس بين تنشط ورزاح) نجد هذا التشبيه رَجْع صدى لثقافة «شوقى» الضاربة بجذورها البعيدة فى تربة التراث العربى المجيد.

وقد خاطب الشمس فى قصيدة (توت عنخ آمون) وتحدث عن الفراعنة وحضارتهم وعن مقبرة توت عنخ آمون فقال فى مناجاتها[٢]:

قفى يا أخت (يوشع) - خبرينا أحاديث القرون العابرينا[٣]
وقصى من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا[٤]
فمثلك من روى الأخبار طراً ومن نسب القبائل أجمعينا[٥]
نرى لك فى السماء خصيب قرن ولا نحصى على الأرض الطعينا[٦]
مشيت على الشباب شواظ نار ودرت على المشيب رحى طحونا[٧]
تعينين الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا[٨]
فيالك هرة أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا[٩]

---

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ٢٤.
(٢) الشوقيات جـ ١ ص ٢٦٦، ٢٦٧، وديوان شوقى جـ ١ ص ٢٥٦ تحقيق د/ أحمد الحوفى دار النهضة مصر ١٩٨٠م.
(٣) قفى: الخطاب للشمس، أخت يوشع: كناية عن الشمس وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم.
(٤) قصى: حدثى، ومنه: «نحن نقص عليك أحسن القصص». ومصارعهم: مهالكهم ودولاتها: جمع دولة، بضم ففتح، وهى الداهية، يقال جاء الدهر بدولاته: أى دواهيه.
(٥) طراً: جميعاً من دون أن تترك منها شيئاً. ونسب القبائل: ذكر انسابها.
(٦) الخضيب: الملون بالخضاب. والقرن: حاجب الشمس. والطعين: المطعون.
(٧) (بالضم والكسر): دخان النار.
(٨) المنايا جمع منيه، وهى الموت.
(٩) الهرة: القطة، ويقال فى المثل: «أعن من الهرة» لأنها تأكل أولادها. والجنين: الولد ما دام فى الرحم.

﴿ ٨٧٢ ﴾

ولننظر إلى قوله فى وصف القمر، وقد رسمه متهللاً فى الماء قد بدا نصفه وأسفر عن قفل ماس فى سوار نضار إذ يقول[١]:

ملك السماء، بهرث فى الأنوار		فقداك كل متوج من سارى
لما طلعت على المياه تنيرها		سكنت، وقد كانت بغير قرار
وزهت لناظرها السماء، وقرَّ ما		فى البحر من عبب، ومن تيار[٢]
وأهل لله السراة، وأزلفوا		لك فى الكمال تحية الإكبار
يادرة الغواص أخرج ظافراً		يمناه يجلوها على النظار
متهللاً فى الماء، أبدى نصفه		يسمو بها، والنصف كاس عار

وقد رسم الفلك على الماء يتبعها ذيل من الأنوار تخطر فى لجين مائج أو مسجد زخار قائلاً[٣]:

والفلك مشرقة الجوانب فى الدجى		يبدو لها ذيل من الأنوار
بينا تخطر فى لجين مائج		إذ تنثنى فى مسجد زخار

ولننظر إلى قوله فى منار الإسكندرية والبحر الأبيض المتوسط:

أمن البحر صائغ عبقرى		بالرمال النواعم البيض مغرى
طاف تحت الضحى عليهن والجوهر		فى سوقه يباع ويشترى
جئنه فى معاصم ونحور		قوت نحرا وقلد الماس نحراً
ورأينا مصْراً تعلم يونان		ويونان تقبس العلم مصرا
تلك تأتيك بالبيان نبيا		عبقريا وتلك بالفن سحرا
ورأينا المنار فى مطلع النجم		على برقه الملمح يسرى
شاطئ مثل رقعة الخلو حسنا		وأديم الشباب طيباً وبشرا[٤]

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ٣١، ٣٢.
(٢) العبب: الماء المتدفق.
(٣) الشوقيات جـ ٢ ص ٣٢ قصيدة (منظر طلوع البدر من سفينة).
(٤) ديوان شوقى جـ ١ ص ٨٩.

ويقول واصفاً الجزيرة والجيزة والنيل، خالعاً عليها الحياة، ومصوراً لها تصوير المحب، الذى يعرف حقها من العراقه والمجد التليد:

وكأنى أرى الجزيرة أيكاً ... نغمت طيره بأرخم جرس[١]
هى (بلقيس) فى الخمائل صرح ... من عباب وصاحب غير نكس[٢]
حسبُها أن تكون للنيل عِرساً ... قبلها لم يُجَنّ يوما بعرس[٣]
لبسَتْ بالأصيل حلة وشى ... بين صنعاء فى الثياب وقَسّ[٤]
مدها النيل فاستحت فتوارت ... منه بالجسر بين عُرى ولُبْس
وأرى النيل (كالعقيق) بواديه ... وإن كان كوثر المُتَحَسِّى[٥]
اين ماء السماء ذو الموكب الفخم ... الذى يحس العيون ويُخْسِى[٦]
لا ترى فى ركابه غير مُثْنٍ ... بجميل وشاكر فضل غَرْس
وأرى الجيزة الحزينة ثكلى ... لم تفق بعد من مناحة (رمسى) [٧]
أكثرت ضَجَّة السواقى عليه ... وسؤال اليَراع عنه بهمس[٨]
وقيام النخيل ضَفَّرن شعراً ... وَتَجَرَّدْنَ غير طوق وسَلس[٩]

يرى الشاعر الجزيرة غابة ملتفة الأشجار، تشدو فوق أفنانها الطيور

---

(١) الأيك: الشجر الكثير الملتف، وقيل: الفيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، الجرس: الصوت، أو خفيه.
(٢) الصرح: القصر، وكل بناء خال، العباب: كثرة الماء، والعباب بمعظم السيل، والعباب: ارتفاعه وكثرته، غير نكس: النكس: الرجل الضعيف الدعاء الذى لا خير فيه.
(٣) عرساً: عروساً.
(٤) صنعاء: عاصمة اليمن، وكانت مشهورة فى القديم بصنع الثياب الحريرية، وقس: موضع بين العريش والفرما بمصر.
(٥) العقيق: كل مسيل شقة ماء السيل أو الحجر الكريم المعروف ويعنى بالعقيق هنا عقيق المدينة المثورة، والكوثر: نهر بالجنة، والمتحسى: الشارك.
(٦) يخسى: من خسأ البصر كل وأعيا.
(٧) رمسى: أى رمسيس.
(٨) اليراع: (الغاب) والقصب.
(٩) سلس: يقال سلست النخلة إذا ذهب كريها وهو بقايا جريدها، والأبيات فى: الشوقيات جـ ٢ ص ٤٦، ٤٧.

بأحلى النغم وأعذبه، ويرى أنها ملكة بين الخمائل، كأنها بلقيس لها صرح من عباب النيل وموجه، وصاحب سخى لادنى ولا ضعيف هو النيل، وكفاها أن تكون عروساً للنيل لم يُدَلّه ويُجَنُّ قبلها بعروس، على كثرة ما مر به من الأراضى والبقاع. وقد تزينت له فى الأصيل، ولبست حلة موشاة، مزركشة نسيجها ممن صنعاء وقس، وقد قطعها النيل من بقية اليابسة، فلما رأت نفسها تواجهه استحيت وتوارت منه بالجسر (جسر قصر النيل، أو جسر الجيزة) عارية تارة وكاسية أخرى.

ويرى الشاعر النيل كأنه وادى العقيق بالمدينة المنورة، لأنه يجرى فى أرض طاهرة عزيزة، ومع هذا فماؤه عذب كأنة الكوثر الذى يجرى بالجنه لمن يشرب منه، ويصفه بأنه ابن ماء السماء (ملك الحيرة) أو ابن ماء السماء لأنه ينحدر من الأمطار له موكب فخم يرتد عنه البصر خاسئاً كليلاً، ولا يبلغ مدى روعته، وكل من يمشى فى ركابه يعرف فضله ويشكر أياديه ونعمه، لأنه يوزع الخير، ويفيض به على كل بقعة يمر بها. ويرى الجيزة حزينة ثكلى، كأنها لا تزال تبكى رمسيس فرعون مصر، وآية حزنها القديم الذى تزال ماضية فيه، أنها أكثرت ضجة السواقى عليه فلا تنفك تنوح وتبكى بدمع هتون، ومن آيات هذا الحزن وسوسة الغاب والقصب، كأنه يهمس بالسؤال عن رمسيس وأين مضى، وكذلك النخيل ضفرن شعورهن وتجردن من ثيابهن، اللهم إلا طوقها وبقايا كربها وجريدها، فهى واقفة تنديه وترثيه، وتتذكر جميل ماضيه.

وأنت ترى شوقى فضلاً عن أنه شَخَّص الطبيعة، وبعث فيها الحياة، يكثر من الإشارات التاريخية، والتشابيه المستمدة من التاريخ، كتشبيه الجزيرة ببلقيس ملكة سبأ، والنيل بعقيق المدنية، أو بابن ماء السماء ملك الحيرة، ويعلل

لوسوسة الغاب وضجة السواقى بأنها لا تزال تبكى على رمسيس. وهذا يدل على الإفادة من الثقافة الواسعة التى حصلها الشاعر، وعلى أن الوصف لا يقتصر على الأمور الحسية وتسجيلها، ولكنه يغالى فى قيمته ويوازن بينه وبين أشياء قدرها التاريخ حق قدرها(١).

وقد حاول أحمد شوقى فى مصر أن يخص جانباً كبيراً من شعره بالأوصاف كالنخيل والبحر المتوسط والشراع، فوقع على معانى القدماء، ثم أراد أن يكتب فى الحيوان فجعل قصصه تقليداً للشاعر الفرنسى لافونتين، لا تصويراً كما فعل الصنوبرى والسرى وكشاجم.

ولقد سعى إلى تصوير الخمر والرقص والربيع والمساجد والكنائس والقصور بعد أن رأى وسمع وسافر إلى باريس ومدريد، ووقف فى غاب بولونيا وعلى قصر نابليون ومسجد قرطبة، وضواحى جنيف وأطراف البوسفور، وراح يرسم ما شاهد، ولكنه لم يفعل شيئاً جديداً، فلم يبتعد عن التقليد ولم يتخلص من معانى القدماء وتشبيهاتهم وأوصافهم، بل أضاف إليها عواطفه الشخصية وأحاسيس نفسه(٢).

وإذا نحن قدرنا «شوقى» بمعايير الألفاظ العذبة المصفاة، والأساليب المؤتلفه المتلائمة، والمعانى الطريفة المشرقة، والنغم الموسيقى الشجىّ، كان فى طليعة الوصافين من شعراء الضاد، بل أسبقهم جميعاً فى هذا الميدان، هذا إلى ما وهبه الله من خيال مبتكر، تظهره آثاره فيما يخلقه من صور ناطقة

(١) وصف الطبيعة وتطوره فى السفر العربى/ السباعى بيومى، محمد خلف الله ص ١٣٠، ١٣١.
(٢) الوصف/ تأليف لجنة من أدباء الأقطار ص ١٠٤ ط الثالثة دار المعارف.

تجسم الموصوف أمامك، وتبرزه ماثلاً بين يديك، وما هو بماثل، وتوهمك أنك تراه، ولست تراه، كما تظهر فيما يسوقه من تشبيهات دقيقة، محكمة التناسب(١).

ومع أن الوصول إلى تشبيه واحد محكم أمر «عسير» على كثير من الشعراء – ترى «شوقى» يسهل عليه الوصول إلى عدة تشبيهات متوالية من هذا النوع الأسمى لموصوف فرد، ويُوالِى بينها، ويوضح بها حقائقه، وقد يعدد فوائده. كل ذلك فى مهارة وإجادة وبراعة(٢) وسأعرض الأمثلة الدالة على تلك الاجادة والبراعة، منها قصيدته فى البحر الأبيض المتوسط – وقد جمع خياله وأوغل – وفيها يقول عن الإسكندرية وشاطئها المزدحم زمن الصيف(٣):

وترى الغِيدَ لؤلؤاً ثم – رَطْباً ... وجماناً، حَوَالِىَ(٤) الماء نَثْرَا(٥)
وكأن السماءَ والماء شِقَّا ... صدف، حُمِّلاَ رفيعا ودُرًّا
وكأن السماءَ والماءَ عُرْسٌ ... مُتْرَعُ المهرجان لَمْحاً(٦) وعطرا
أو ربيعٌ من ريشةِ الفن أبْهَى ... من ربيع الرى، وأفتنُ زهرا
أو تهاويلُ شاعرٍ عبقرىٌّ ... طارح البحر والطبيعة شعرا
يا سوارى فيْرُوزَج ولُجَيْن ... بهما وحُلِّيَتْ معاصم مصرا
فى شعاع الضحى هو دان ماساً ... وعلى لمحة الأصائل تبرا
ومشت فيهما النجومُ فكانت ... فى حواشيهما يواقيت زهرا
لك فى الأرض موكب يألو السرِّيح ... والطير والشياطين حشرا(٧)
سِرْتَ فيه على كنوز (سُليما ... نَ) تَعُدُّ الخُطى اختيالاً وكِبْرا

(١) أى: كما يقول البلاغيون: فيها صلة التشبيه بين الطرفين قوية، ووجه الشبه بينهما واضح، وأهو أظهر ضعاف المشبه به.
(٢) المتنبى وشوقى/ عباس حسن ص ٣١١.
(٣) الشوقيات جـ ٤ ص ٦٦، ٦٨.
(٤) حوالى، بمضى حولة، أو: حوالى – بكسر اللازم –، بمضى: حالياته التى تزينه.
(٥) منثورات متفرقات.
(٦) إظهاراً للحسن.
(٧) ليس يألو الريح: ليس يقصر عنها.

وفيه يقول أيضاً:

شاطئٌ مثل رقعة الخلد حسنا ... وأديم الشباب طيبا وبشرا
جر فيروزجا على فضة الما ... ء، وجَرَّ الأصيلُ والصبحُ تبرا
كلما جئته تهلل بشرا ... من جميع الجهات، وافترّ ثغرا
انثنى موجة، واقبل يُرخِى ... كِلَّة تارة ويرفع سترا
شبَّ وانحط مثل أسراب طير ... ماضيات تلف بالسهل وعرا
ربما جاء وهدة فتردى ... فى المهاوى، وقام يطفر صخرا
وترى الرمل والقصور وكأيك ... ركب الوكر فى نواحيه وكرا
وترى جَوْسَقاً يزين روضا ... وترى ربوة تزين مصرا

وفيه يخاطبه:

كم ملأناك بالسفين مواقير[1] ... كشُيَّم الجبال جندا ووفرا!
شاكيات السلاح يخرجن من مصر ... بملمومة[2]، ويدخلن مصرا
شارعات الجناح فى تبح الما ... ء كنسر يشد فى السحب نسرا
وكأن اللُّجاج[3] حين تَنَزَّى[4] ... ويسدُّ الفجاجَ كرًّا وفرًّا....
... أجمٌ بعضه لبعض عدو ... زحفت غاية لتمزيق أخرى!
قذفت ههنا زئيرا ونابا ... ورمت ههنا عواء وظفرا
أنت تغلى إلى القيامة كالقد ... ر فلا حط يومها لك قِدْرا

ولا عجب فشوقى كما ذكرنا آنفاً كان ذا شاعريةٍ فذة، وحساسية مرهفة، وكان مولعاً بالجمال يهتز له أينما وجده، كما كان مولعاً بالعظمة، وقدر أى مصر تتميز بالجمال كما تتميز بالعظمة، فأعجب بها، والإعجاب أول

(١) مواقير: موقرة: متقلة بما تحمل.
(٢) كتائب متجمعة.
(٣) اللجاج: جمع لجة، وهى: الماء الكثير الذى لا ترى العين أطرافه.
(٤) تنزى أى تتنزى، بمضى: تتوثب وتقفز.

﴿ ٨٧٨ ﴾

مراتب الحب، بل أحبها حباً عميقاً فقال[١]:

أحبّك مصر من أعماق قلبى		وحبك فى صميم القلب نام
سيجمعنى بك التاريخ يوماً		إذا ظهو الكرام على اللئام
لأجلك رحت بالدنيا شقياً		أصدّ الوجه والدنيا أمامى
وهبتك غير هياب يراعا		أشدّ على العدو من الحسام

ولم يقف شوقى من الطبيعة المصرية عند حد تصويرها وإسباغ منه عليها وإبرازها صوراً رائعة تفتن اللب والنظر والسمع، كما فعل البارودى، ولكنه اندمج فيها وشخصها وبعثها حية، فأربى بذلك على من تقدمه وأعجز من أتى بعده.

ولشوقى فى غير الطبيعة المصرية قصائد رائعة نهج فيها هذا النهج، وحلّق فى سماوات تاريخها ما شاء له خياله المجنح، وجسمها وشخصها وخاطبها كقصيدته فى غابة بولونيا[٢]، وفى زحلة، وفى لبنان، وفى دمشق، وفى دمشق يقول بيتيه المشهورين يصف النسيم النَّدِىّ[٣].

وقد صفا(بَرَدَى) للريح، فابتردت[٤]		لدى ستور، حواشيهنّ أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال[٥]، ولا		جفّتْ من الماء أذيالٌ وأردانٌ[٦]

لقد تمثل الريح غانية ابتردت فى (بردى)، واتخذت من الأفنان والأشجار سِتْراً يقيها أعين الرقباء، ثم خرجت من النهر، ولا تزال جسمها

(١) فى الأدب الحديث/ عمر الدسوقى جـ ٢ ص ١٦٨ طبعة دار الفكر العربى.
(٢) الأبيات فى الشوقيات جـ ٢ ص ٢٧ وما بعدها.
(٣) الشوقيات جـ ٢ ص
(٤) بردى: النهر الذى يشق دمشق، وابتردت: اغتسلت.
(٥) البلال: أى البلل.
(٦) أردان: جمع ردن وهو الكم، وانظر: الأبيات فى الشوقيات جـ ٢ ص ١٠٢.

مبتلاً، وأذيالها وأكمامها عليها أثر من ماء.

ولشوقى فى مناظر الطبيعة، شروقها وغروبها والربيع وغير ذلك، قطع غاية فى الجبال، على أن وصفه لرحلة بلبنان كان آية عجباً، لأنه تمثلها غانية وأخذ ينغزل فيها غزلاً جميلاً رقيقاً، وذلك فى قصيدته المشهورة[١]:

يا جارةَ الوادى طربتُ وعادَنِى		ما يشبهُ الأحلام من ذكراكِ

ولما تعرض للطيارين الفرنسيين ذكر سليمان وبساط الريح حين وصف الطائرة قائلا[٢]:

صهوة العزّ اعتلوا، تحسبهم		جمع أملاك على الخيل تسامى
رفعوا «لولبها» فاندفعت		هل رأيتَ الطير قد زُفَّ وحَامَا؟ [٣]
شال[٤] بالأذناب كلٌّ، ورمى		بجناحيه كما رُعْتَ النَّعَامَا
ذهبت تسمو، فكانت أعقبا[٥]		فنسُوراً، فصقوراً، فحماما
تنبرى فى زرق الأفق، كما		سَبَحَ الحُوتُ بدأ ماءٍ وعاما[٦]

وهى صورة جاهلية فيها الطير والنعام والنسور والصقور والحمام والحوت، قد اجتمعت لتعبر الشاعر من رسومها ألواناً وأشكالاً لهذه الطائرة، ولولا كلمة لولب وزرقة السماء لحسبنا أنها تجرى بين الحيوان على الأرض. والواقع أن الطائرة تشبه الطير أكثر ما تشبه وقد اخترعت تشبهاً بالطير، ولكن الشاعر يستطيع أن يتخيل فى رسمها أبعد من هذه الصور الحسية

(١) وصف الطبيعة وتطوره فى الشعر العربى/ محمد خلف الله ص ١٣٨.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٨٩.
(٣) زف الطائر: رمى بنفسه أو بسط جناحيه.
(٤) شالت الناقة بذنبها: رفعته.
(٥) أعقبا: جمع عقاب، وهو طائر من الجوارح.
(٦) الدأماء: البحر.

﴿ ٨٨٠ ﴾

المادية الصرف فى القرن العشرين. ولعل عذره فى ذلك أن أحداً من الشعراء لم يخض معمعان هذا الوصف فكان الميدان بكراً[١].

وكان شوقى واسع الخيال، غنى التصوير، وشعره من هذه الناحية متحف لصور متحركة، ومن أظهر أمثلة الخيال فى (شعر الطبيعة) قصيدته فى «وصف مشاهد الطبيعة»[٢] فى الطريق من أوربا إلى الآستانة، وقد وقف بين يدى الطبيعة يتأمل مظاهرها ويعبر عن مشاعره نحوها ويوضح إنها بما أبدع الخالق العظيم فى تكوينها تنطق بالجلال وكأنها أم الكتاب ونظرة واحدة فيها تمحو أثيم الشك الإنكار فيقول:

تلك الطبيعة، قف بنا يا سارى		حتى أريك بديع صنع البارى
الأرض حولك والسماء اهتزتا		لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجلال، كأنها		أم الكتاب على لسان القارى[٣]
دلت على ملك الملوك، فلم تدع		لأدلة الفقهاء والأحبار[٤]
من شك فيه فنظرة فى صنعه		تمحو أثيم الشك والإنكار
كشف الغطاء عن (الطرول) وأشرقت		منه الطبيعة غير ذات ستار

ثم يسترسل الشاعر فى وصف مشاهد الطبيعة التى تراءت له فيراها كأنها (بلقيس) فوق سريرها فى نضرة ومواكب وجوارى وكأنها (ابن واود) وواسع ملكه الذى فى بابه هوج الرياح خواشع والطير فيه نواكس المنقار، وخمائلها بعضها ذات خلخال أو ذات سوار ومنها ضحوك السن تملأ الدنيا

(١) فن الوصف: وضعه لجنة من أدباء الأقطار العربية ص ١٠٤، ١٠٥، الطبعة الثالثة/ دار المعارف.
(٢) ديوان شوقى جـ ١ ص ١٠٢، والشوقيات جـ ٢ ص ٣٦، ٣٧.
(٣) أم الكتاب: فاتحته.
(٤) الأحبار: جمع حبر وهو العالم وقيل: الصالح من العلماء.

﴿ ٨٨١ ﴾

سنا، وفيها الغريقة فى دمعها المدرار، ومنها الوحيدة تشكو الوحشة فيقول:

شَبَّهتُها (بلقيس) فوق سريرها		فى نضرة، مواكب، وجوارى
أو (بابن داود) وواسع ملكه		ومعالم للعز فيه كبار[١]
هوج الرياح خواشع فى بابه		والطير فيه نواكس المنقار[٢]
قامت على ضاحى الجنان كأنها		رضوان يزجى الخلد للأبرار[٣]
كم فى الخمائل وهى بعض إمائها		من ذات خلخال، وذات سوار[٤]

ثم يرسم الشاعر لوحة تصويرية جميلة لمنظر الغدير ويفتن فى وصفها فيقول:

ولقد تمر على الغدير تخاله		والنَّبْتُ مرآة زهت بإطار[٥]
حلو التسلسُل موجُهُ وجريره		كأنامل مُرِّن على أوتار
مدت سواعد مائه وتألقت		فيها الجواهر من حصى وجمار[٦]
ينساب فى مُخْضلَّةٍ مُبْتَلَّةٍ		منسوجةٍ من سُنْدُسٍ ونُضَار[٧]

إلى آخر هذه الأوصاف الرائعة للغدير وقد أحاط به النبت النضر وارتوت فيه الأرض المنسوجة من سندس ونضار.

وهكذا كان شوقى يعرف كيف يجسم الصورة وكيف يركبها وكيف يحشد جزئياتها وعناصرها فإذا هى تتحول إلى لوحة كبيرة، كهذه اللوحات التى نراها فى معارض الرسامين فلا نستطيع أن نخفى إعجابنا بها ولا

(١) المعالم: جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه.
(٢) هوج: جمع هوجاء، والريح الهوجاء التى تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت.
(٣) الضاحى: المكان البارز، يزجى: يسرق ويستحث.
(٤) الإماء: الجوارى.
(٥) إطار الشئ: كل ما أحاط به.
(٦) الجمار: جمع جمرة وهى الحصىز
(٧) أفضل الشئ: صار نديا بليلا. والنضار: الذهب.

سرورنا بها أثناء رؤيتها ويتضح ذلك فى وصفه «أبى الهول» و«قصر أنس الوجود» و«مقبرة توت عنخ آمون» وهذا كسب لشعر الطبيعة فى مصر فى العصر الحديث، ينتظر من شعرائنا المجددين يداً يضيفونها إلى أياديه فى غنى المتحف الأدبى العربى(١).

وصف الطبيعة لدى أحمد شوقى فى ميزان النقد

تناول نقادنا المحدثون موضوع وصف الطبيعة عند شوقى وتباينت وجهات نظرهم إلى هذا الباب المهم من أبواب شعر أمير الشعراء. ويحمل بنا فى هذا المقام أن نطرح تلك الرؤى النقدية على بساط البحث حتى نوفى الموضوع حقه(٢).

يقول الشاعر صالح جودت فى كتاب له فى سلسلة اقرأ التى تصدرها دار المعارف بعنوان «بلابل من الشرق»، (وقد لقى شوقى فى حياته حرباً كثيرة.. لقد لقى حرباً من طه حسين والعقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وأنصارهم جميعاً، ثم لقى حرباً رخيصة من أصحاب الصحف الصغيرة طمعاً فى ماله.. سمعت من المرحوم أحمد فؤاد صاحب جريدة الصاعقة، أنه كان كلما أعوزه المال أوفد إلى شوقى رسولاً بأن فؤاد الصاعقة سوف يهاجمه، وكان شوقى يفزع من النقد، فكان إذا سمع هذا أوفد إلى صاحب الصاعقة من ينفحه بما شاء من المال ليسكت عنه، ومع هذا كان فؤاد الصاعقة يعبد شوقى ويحفظ شعره كله عن ظهر قلب، كما كان يحفظ ثلاثين ألف بيت على الأقل لغيره من أعلام الشعر العربى.. ولقد لقى شوقى كذلك حربا عوانا من بعض الصحف الكبيرة لظروف قاسية شتى منها صلته بالقصر، وخصومته فى

(١) انظر: مهرجان شوقى د. سامى الدهان ص ٢٣٨: ٢٤٠.
(٢) الاتجاه الروحى فى شعر شوقى - أحمد محمد الحوفى ص ٤.

بعض الآونة لسعد زغلول، وصلة المصاهرة التى ربطته باسماعيل صدقى، وكان الكتاب يومئذ يخلطون بين الأدب والسياسة[١].

وقال (الرافعى) «(إن شوقى صاحب الآيات البديعة فى الوصف، وهذه الناحية هى أقوى نواحيه»)[٢].

ويقول (إيليا الحاوى) «ومعظم ما يخلبه من الطبيعة مواقع الجمال ومشاهد ومظاهر العمران والأبنية التى لها أبعاد تاريخية مغمورة بالأسطورة والوهم، مفعمة بالذكريات والسطور بنزوخ الزمن وحسرة الماضى المتآكل»[٣].

وقال عنه (السيد فرج): (أنه شاعر الإسلام وشاعر الأمة العربية، وشاعر مصر، وشاعر الفنون والآداب وهذا كله مما جاءت به قريحة هذا الشاعر العبقرى الذى سلك جميع جداول الشعر وأصاب بأسهمه أكباد الأغراض التى صوب إليها فطاحل الشعراء، وهو شاعر مصر الحديثة وشاعر الأمة العربية، والشاعر الذى استحق بجدارة وتذكية مبايعة لقب أمير الشعراء فى زمنه وأحد أمراء الشعراء فى جميع عصور الشعر العربى)[٤].

وقال عنه عمر الدسوقى: (كان شوقى ذا شاعرية فذة، وحساسية مرهفة، وكان مولعاً بالجمال يهتز له أينما وجده، كما كان مولعاً بالعظمة، وقد رأى مصر تتميز بالجمال كما يتميز بالعظمة، فأعجب بها، والإعجاب أول مراتب الحب، بل أحبها حباً عميقاً.

---

(١) بلابل من الشرق - صالح جودت ص ٥٦، ٥٧ - سلسلة اقرأ دار المعارف سنه ١٩٨٤م.
(٢) انظر: مهرجان شوقى د/ سامى الدهان ص ٢٤٥.
(٣) أحمد شوقى أمير الشعراء جـ ٣ - إيليا الحاوى ص ٩٥ دار الكتاب اللبنانى الطبعة الأولى سنه ١٩٧٧م.
(٤) انظر أمراء الشعراء السيد فرج ص ٣٢١، ٣٢٨.

أحبك مصر من أعماق قلبى وحبك فى صميم القلب نام
سيجمعنى بك التاريخ يوماً إذا ظهر الكرام على اللئام
لأجلك رحت بالدنيا شقياً أصد الوجه والدنيا أمامى
وهبتك غير هياب يراعا أشد على العدو من الحسام

ولم يقف شوقى من الطبيعة المصرية عند حد تصويرها وإسباغ فئة عليها وإبرازها صوراً رائعة تفتن اللب والنظر والسمع، كما فعل البارودى، ولكنه اندمج فيها وشخصها وبعثها حية، فأربى بذلك على من تقدمه وأعجز من أتى بعده(١).

ونذكر للدكتور طه حسين فى خاتمة كتابهٔ (حافظ وشوقى) قوله فى تقييم الشاعرين: (كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً فى السماء، وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربى، ورد إليه نشاطه، ونضرته، وكلا الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة والتى لابد أن تقبل، هما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك. هما أشعر العرب فى عصرهما ولكن أيهما أشعر من صاحبه؟ أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق، ولكن شوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير نفسى للشعب وآلامه وآماله، ولم يتقن ما أتقن حافظ من إحساس الألم، وتصوير هذا الإحساس ولم يبلغ شوقى من هذا مبلغ حافظ، وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة، وأغنى منه مادة، وأنفذ منه بصيرة، وأسبق منه إلى المعانى، وأبرع منه فى تقليد الشعراء المتقدمين، لأن حافظ كان يقلد فى الألفاظ والصور – وكان شوقى يقلد فيها – وفى المعانى أيضاً، ولشوقى فنون لم يحسنها حافظ –

(١) فى الأدب الحديث/ عمر الدسوقى جـ ٢ ص ١٦٨ دار الفكر العربى.

وما كان يستطيع أن يحسنها - وشوقى شاعر الغناء غير مدافع، وشوقى شارع الوصف غير مدافع، وشوقى منشئ الشعر التمثيلى فى اللغة العربية، يلتقى الرجلان فى كثير، ويفترق الرجلان فى كثير)[١].

ويقول عنه محمود تيمور:

لم يدع «شوقى» جانباً من جوانب القول فى الوصف والتعبير والاستيحاء إلا كان له فيه مجال، فهو الذى تغنى بعظمة الشرق ووشائج العروبة وهدى الدين، وهو الذى نظر إلى مفاتن الطبيعة: من نهر وجبل روض، نظرة فنان أصيل، فوصفها بأسرارها فى روعة وافتتان[٢].

وقال شوقى ضيف:

وشعره فى الوصف يُعَدُّ واحات جميلة، لا يزال يبثُّ الحياة والنضرة فيها، فإذا الشاعر العبقرى قد سوَّاها آيات رائعة بفضل شاعريته، وما تسبغه على هذه المناسبات من معان وما تقتصره من أفكار وما ترسمه من صور ناطقة وخواطر دقيقة، فليس هناك سدود تستطيع أن تعوقها أو تحول بينها وبين ماتريد[٣].

ورأى غيرهم أن الشاعر أخفق فى مجاراة عصره فاستعار أوصاف القدماء، ونحن لا نحمل شوقى عبء تقصيره فى اللحاق بشعراء الغرب فى العصر الحديث، وقد عاش بينهم فى باريس، فلم يرسم أثر المشاهد فى نفسه ولم يحاول أن يطبعها فى نفوس قرائه، وذلك لأن «شوقى» كان يديم النظر

(١) حافظ وشوقى د/ طه حسين ص ٢٢. وانظر: مقدمه الشعر العربى الحديث د/ محمود حامد شوكت ص ١٤٤، ١٤٥ دار الفكر العربى.
(٢) انظر: اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الأخيرة/ محمود تيمور ص ٨٨.
(٣) شوقى شاعر العصر الحديث د/ شوقى ضيف ص ١٦١، ١٦٢.

إلى الشعر القديم، ويسعى فى اللحاق به وخاصة فى الوصف، فقد تعمق فى وصف الآثار الذى فاق فيه غيره من الشعراء، وعندما يطيل النظر فى الأهرام وفى تاريخ مصر القديمة، يصورهما بخيال بارع وموسيقى عذبة ويضفى عليهما بعاطفته الرقيقة وإحساسه المرهف ترفع شعر الطبيعة لديه إلى ذروة الفن وقمة السماء(١).

وكان الخيال ذا وضوح قوى فى وصف «شوقى» للطبيعة، وكذلك الموسيقى، وهناك ركن ثالث هو العاطفة، وإن لم يكن له وضوحهما ولا قوتهما، لسبب بسيط وهو أن «شوقى» ينكر نفسه أحياناً فى شعره، فهو ليس من الشعراء الذاتيين الذين نقرأ عنهم حدة العاطفة ولعل هذا ما جعل «العقاد» يقول:

«إن شعر الصنعة بلغ فى ديوان شوقى ذروته العليا وإن شعر الطبع عنده خلا من مزية خاصة ينفرد بها، وهبط شعر الشخصية إلى حيث لا تتبين لمحة من الملامح ولا قسمة من القسمات التى يتميز بها إنسان بين سائر الناس وشعر الصنعة ليس على منهج واحد. فمنه ما هو زيف فارغ لا يمت إلى الطبيعة بواشجه ولا صلة، وليس فيه إلا لفظ ملفق وتقليد براء من الحس والذوق والبراعة. ومنه ما هو قريب إلى الطبيعة ولكنه منقول من القسط الشائع بين الناس، فليس فيه دليل على شخصية القائل ولا على طبعه. لأنه أشبه شئ بالوجوه المستعارة التى فيها كل ما فى وجوه الناس، وليس فيها وجه إنسان ومن هذه الصنعة كانت صنعة شوقى فى جميع شعره(٢). وليس هذا بشعر النفس الممتازة ولا بشعر النفس الخاصة.

---

(١) الطبيعة بين المحافظين والمجددين فى مصر د/ مفيدة ابراهيم ص ١١٧.
(٢) انظر: شعراء مصر وبيناتهم فى الجيل الماضى/ للعقاد ص ١٤٩ وما بعدها.

﴿ ٨٨٧ ﴾

ويرد الدكتور «شوقى ضيف» قائلاً: «وعباس العقاد حين يزعم أن شوقى لا تتضح شخصيته فى شعره يجانبه الحق وخاصة حين يضع هذه المقدمة لينتهى منها إلى أن شعره ليس شعر النفس الممتازة ولا شعر النفس الخاصة، وهو لذلك ليس رسالة حياة ولا نموذجاً من نماذج الطبيعة، يريد أن يجرده بذلك من حاسة الشعر. فقد كان شوقى يحلم بالعالم من حوله وأحداثه وحقائقه، ولم يكن يحلم بنفسه، ولا اتجه إلى وصف ما يجرى فى سراديبها المظلمة، لأنه رأى أن لا يكون شاعراً نفسانياً ولا شاعر شخصيته بالمعنى الذى يريده عباس العقاد، وإن من الظلم للشاعر أن نقيسه بمقياس لم يفكر فيه، وأن نسأله عن قسماته وملامحه ومزاجه وميوله النفسية وهو لم يعن بشئ من ذلك وليس الشعر عند «شوقى» إثارة للشعور ولا تعبيراً فردياً فحسب. بل كان قبل كل شئ – تعبيراً إجتماعياً متمثلاً فى وصف وصل فيه إلى قمة الروعة والبراعة فى الخيال[1].

ويقول «عباس حسن» (على أن المشاهد التى تعرض لوصفها «شوقى» إنما تعرض لكل منها مرة ولم يثن فى الغالب). والشاعر المقتدر كالمصور المقتدر، يرسم الصورة الواحدة مرات مختلفة، كل واحدة تغاير سابقتها، وتختص بلون من الغش والحسن ليس لأختها، لا تفيضا من شاعر مصر أن يقتصر فى وصفه مشاهدنا وأمجادنا على قصيدة واحدة، أو بعض قصيدة، بل نحن فى حاجة إلى سماع الكثير، لينهض العزائم، ويحرك الهمم.... وأوصافه على مكنها أو كثرتها – يغلب عليها طابع التعميم والإجمال، فلست أعرف له وصفاً تناول فيه أجزاء الموصوف، وخصائصه التى تميزه من سواه – تناولاً حميدا، وضرب لذلك مثلاً قصيدته العظيمة فى

(١) شوقى شاعر العصر الحديث د/ شوقى ضيف ص ٥١.

﴿ ٨٨٨ ﴾

الربيع[١] ومطلعها[٢]:

مرحبا بالربيع فى ريحانه وبأنواره، وطيب زمانه
زفت الأرض فى مواكب آذا ر وشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى فيه مشى الأمير فى بستانه
عبقرى الخيال زاد على الطيـ ـف، وأربى عليه فى ألوانه
صبغة الله! أين منها رفائـ ـيل، ومنقاشه وسحر بنانه؟
رنم الروض، جدولا ونسيما وتلا طير أيكة غصن بانه
وشدت فى الربا الرياحين همسا كتغنى الطروب فى وجدانه
كل ريحانة بالحسن، كعرس ألفت للغناء شتى قيانه
نغم فى السماء والأرض فى شتى من معانى الربيع، أو ألحانه

ولقد تعرضت هذه القصيدة على صورها البارعة وأفكارها القوية وموسيقاها الموحيه لنقد جائر كتبه الأستاذ «العقاد» عن أن الربيع يمشى فى السهل مشى الأمير فى بستانه وأن صبغة الله أجمل من صبغة رفائيل، فأما الربيع يمشى فى السهل مشى الأمير فى بستانه فلا شئ من عيان بالنظر أو تصور بالخيال.. وأما أن صبغة الله خير من صبغة رفائيل فكلمة لا دليل فيها على إحساس بالطبيعة ولا إحساس بالفنون»[٣].

ويرد الدكتور شوقى ضيف معلقاً على ما سلف: «والعقاد لا ينصف شوقى بهذا النقد، وطبيعى أن لا ينصفه، وهو ثائر عليه كل هذه الثورة العنيفة، التى ينكر فيها عليه كل شئ حتى الألحان والأشعار، وبنى العقاد نقده على صورتين استخدمهما شوقى، أما الصورة الأولى فتشبيهه للربيع بالأمير، وهى

(١) أنظر المتنبى وشوقى – عباس حسن ص ٣٠٨، ٣٠٩.
(٢) الشوقيات جـ ٢ ص ٢٤، وديوان شوقى جـ ١ ص ٥٨٥.
(٣) ساعات بين الكتب للعقاد ص ١٠٩.

صورة طريفة، لا يفد منها على الذهن مطلقاً مقدَّرات العقاد، تلك المقدرات التى لا يمكن أن يفكر فيها شوقى ولا من يقر أونه لسبب بسيط، وهو أن شوقى يشبه الربيع بالأمير فى خيالاته وروعته وما يلبس من ثياب مزركشة بالقصب، مطرزة أكمالٍ بالوش. وليس فى الصورة غرابة، إنما فيها التمادى فى إكمالا بالبشر والضحك والمواكب والمهرجان. وكل ذلك يحتذى فيه شوقى على الأسلوب العربى المعروف ببراعة الاستهلاك. أما الصورة الثانية فمقارنة شوقى لصبغة الله بصبغة رفائيل وتقديم الأولى على الثانية، فقد رأى العقاد فى ذلك جرحاً للإحساس بجبال الطبيعة، إذ قربها شوقى إلى الجمال المصنوع، بصنعه رفائيل. والعقاد غير محق فى نقده، لأن رفائيل الإيطالى من أبرع المصورين فى التاريخ البشرى، وليست لوحاته «مصبغة ألوان» وإنما هى آيات من أعظم آيات الإنسان. ومن المعروف أن لوحة المصور وإن حاكت الطبيعة فإنها تحملها وتضيف إليها بدعا جديداً من محيلة الرسام الحاذق. وشوقى يقول إنه حين ينظر إلى الطبيعة فى الربيع ترتسم أمامه كأنها لوحات، تتجمع فيها الخطوط والأضواء والظلال والألوان، وهى لوحات تستمد من أصباغ مقدمة تضئ بالسحر والفتنه والجمال، وهى أصباغ الله. وليس فى هذا التصوير قصور ولا انعدام للإحساس بالطبيعة.

ويقول «عباس حسن» فى أبياته فى وصف الربيع: (وهى ساحرة الصوغ والمعنى والخيال. وما أعرف شاعراً عربياً قاربها من ناحية من نواحيها الثلاث السالفة ولا يشوبها إلا ذلك التعميم الذى يشوب الأدب العربى عامة. وإذا تلمسنا العذر «لشوقى» هنا بأنه يتحدث عرضاً عن الربيع فى مظهره العام، وآثاره المجملة من غير أن يوجه همه للحديث عن رياضه، وأزهاره، وتسميتها بأسمائها وتجديدها بخصائصها. ذلك لأن موضوع القصيدة

﴿ ٨٩٠ ﴾

هو: شكر المؤتمرين فى حفل تكريمه، ولم يكن موضوعها الأساسى: الربيع[١].

ويقول الدكتور «محمد سعد فشوان»: قصيدة «شوقى» فى المهرجان فى إطارها العام لوحة زاهية زادها الربيع إشراقاً وفيها موازنة رائعة بين مباهى الربيع ومباهى الحفل الذى أقيم لتكريمه، وقد قصد شوقى من وراء تلك الموازنة أن يصف الأثر الذى تركه هذا الحفل فى نفسه، وهو أثر مخلد يتجدد مع الربيع كل عام ومباهى الحفل إنما هى مباه مخلدة للشعر نفسه فى كل زمان[٢].

وإذا نظرنا إلى الوصف فى شعر شوقى فسوف تطالعنا لوحات فنية تكاد تنطق بسر الإعجاز الفنى لهذه المخيلة التى تمتلك تلك القدرة الفريدة على تركيب الصورة ومزجها بألوان مصفاة لتخرجها مجلوة تكاد تتحرك، والطبيعة فى شعر شوقى رداء خارجى - شوقى يصفها ويحسن وصفها معتمداً على وسائل التصوير التى ترضى الذوق العربى المتأثر بتراثنا الشعرى، وهو يجيد ذلك كله إجادة تامة[٣] يقول شوقى:

ولقد تمر على الغدير تخاله		والنبت مرأة زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريره		كأنامل مرت على أوتار[٤]

(١) المتنبى وشوقى/ عباس حسن ص ٣١٠.
(٢) فى النص الأدبى الحديث د/ محمد سعد فشوان ص ٥٧ مطبعة الجامعات سنة ١٩٨١م، وانظر: رسالة الطبيعة بين المحافظين والمجددين د/ مفيدة ابراهيم ص ١٢٢، ١٢٣.
(٣) مقومات الشعر العربى الحديث والمعاصر د/ محمود حامد شوكت ص ١٣٤، ١٣٥.
(٤) الشوقيات جـ ٢ ص ٣٧.

ويقول فى الجزيرة:

وكـــأنى أرى الجزيـــرة أيكـــا		نغمـــت طـــيره بـــأرخم جـــرس
هـــى بلقيـــس فـــى الخمـــائل صـــرح		مـن عبـاب وصـاحب غـير نكـس[1]

وفى آثار الفراعنة يقول:

وكأنمـا الأهـرام مـيزان فرعـــون		بيـــوم علـــى الجبـــابر نحـــس
روعـة فـى الضحـى ملاعـب جـن		حيـــن يفشـــى حماهـــا ويغـــس
ورهيـــن الرمـــال أفطـــس إلا		انـــه صنـــع جنـــه غـــير فطـــس
تتجلـــى حقيقـــة النـــاس فيـــه		سبع الخلـق فـى أسـارير إنـس[2]

وهكذا جاء شوقى والعربية تُمعن فى إدبارها، حتـى علـى أوْقتْ علـى الزوال، بما تشايع عليها وعلى بلادها من أحداث جسام، والعالم العربـى مدين لأمير الشعر، ففضل شوقى ما كان مقصوراً على مصـر وحدها، لأنـه شـاعر العربية جمعاء، وإذا كانت عبقريته حقا للجميع فقد وجب أن يكون تكريمه حقا على الجميع، هذا «شوقى» الذى جاد به الزمان على هذا العصر، وإن الزمـان بمثله لبخيل، فجدد العربية كريم إهابها، ونشر مطـوى آدابهـا، ونسـج لهـا بيـن اللفا الصلبة مكاناً عليا، وكان شعره فى وصف الطبيعة شـعراً جديداً حتـى مـا طرقه الأقدمون[3].

وأختم البحث قائله: هذا هو «شوقى» بموسيقاه الخلابـة التـى ظهـرت جلية فى «وصف الطبيعة» وهؤلاء هم النقاد وما كتب عن أمير الشعراء وعن شعره وطاقته الشعرية عندما عبر بمنتهـى العمـق عـن المشـاعر التـى تختلـج

(١) الشوقيات جـ ٢ ص ٤٦، ٤٧.
(٢)
(٣) انظر: المتنبى وشوقى/ عباس حسن ص ٣٥٩ - ٣٦١.

النفس إزاء مظاهر الطبيعة بالألفاظ العذبة، والأساليب المتلائمة، والمعانى الطريفة المشرقة، والنغم الموسيقى الشجى كان فى طليعة الوصافين من شعراء الضاد - هذا إلى ما وهبه الله من خيال مبتكر تظهر آثاره فيما يبتدعه من صور ناطقة تجسم الموصوف أمامك، وتبرزه وكأنك تراه، كما تظهر فيما يسوقه من تشبيهات دقيقة، ومحكمة، ولو أن سائلاً طلب إلىّ أن أرشده إلى شاعر عربى يستغنى به عن غيره ويكتفى شعره عن كل شعر - ما ترددت أن أرشده إلى «شوقى».

«والله ولى التوفيق»

﴿ ٨٩٣ ﴾

المصادر والمراجع

١- البارودى أو فترة من أدبنا اعداد السيد مرسى أبو ذكرى البدوى طبعة ١٩٦٩م.

٢- الاتجاه الروحى فى شعر شوقى د/ أحمد محمد الحوفى طبعة ١٩٦٧م.

٣- اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الأخيرة - محمود تيمور.

٤- الأدب العربى الحديث د/ أحمد عبد الغفار عبيد طبقة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٥- الاسلام فى شعر شوقى د/ أحمد الحوفى طبعة القاهرة شوال ١٣٩٢هـ نوفمبر ١٩٧٢م.

٦- الشعر الجاهلى د/ محمد عبد المنعم خفاجة دار الكتاب اللبنانى بيروت طبعة ثانية ١٩٧٣م.

٧- الشوقيات جـ ١، جـ ٢ طبعة دار الكتاب العربى بيروت لبنان.

٨- الطبيعة بين المحافظين والمجددين فى الشعر العربى الحديث فى مصر. رسالة ماجستير مقدمة من - مفيدة ابراهيم على عبد الخالق ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩- الطبيعة فى شعر المهجر د/ أنس داود - الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

١٠- الطبيعة والشعر العربى د/ حسين نصار طبعة دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٧٢م.

١١- المتنبى وشوقى دراسة ونقد وموازنة - عباس حسن دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

١٢- «الوصف» تأليف لجنة من أدباء الأقطار الطبقة الثالثة دار المعارف.

١٣- أحمد شوقى أمير الشعراء جـ ٣ إيليا الحاوى دار الكتاب اللبنانى الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

١٤- أمراء الشعر - السيد فرج.

١٥- بلابل من الشرق - صالح جودت سلسلة اقرأ دار المعارف ١٩٨٤م.

١٦- حافظ وشوقى د/ طه حسين الطبعة الثانية ١٩٥٣م.

١٧- ديوان شوقى جـ ١ تحقيق د/ أحمد الحوفى دار نهضة مصر ١٩٨٠م.

١٨- ساعات بين الكتب لعباس محمود العقاد.

١٩- شعراء الطبيعة فى الأدب العربى د/ سيد نوفل طبعة ١٩٤٥م.

٢٠- شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابع الهجرى - عوض على الغبارى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

٢١- شعر الطبيعة فى العصر الحمدانى د/ محمد على طلب مجلة اللغة العربية بأسيوط ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٢- شعر الطبيعة بين الرصافى وابن خفاجة الأندلسى د/ السيد فتح الله عبد العزيز - مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية (بحث).

٢٣- شعر شوقى الغنائى والمسرحى د/ طه وادى الطبعة الثالثة ١٩٨٥م دار المعارف.

٢٤- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى عباس محمود العقاد - نهضة مصر للطباعة والنشر - الفجالة - القاهرة.

٢٥- شعراء الوطنية - عبد الرحمن الرافعى الطبقة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٢٦- فن الوصف لمجموعة من الأدباء الطبقة الثالثة دار المعارف.

٢٧- فى الأدب الحديث - عمر الدسوقى جـ ٢ دار الفكر العربى.

٢٨- فى النص الأدبى الحديث د/ محمد سعد فشوان مطبعة الجامعات ١٩٨١م.

٢٩- مقومات الشعر العربى الحديث والمعاصر د/ محمود حامد شوكت طبعة دار الفكر العربى.

٣٠- مهرجان شوقى د/ سامى الدهان طبعة دار الفكر العربى.

٣١- نهر النيل فى الأدب العربى د/ محمد عوض محمد طبعة أغسطس ١٩٥٧م.

٣٢- وصف الطبيعة وتطوره فى الشعر العربى تأليف السباعى بيومى وآخرون.

٣٣- وطنية شوقى للحوفى - طبع مكتبة نهضة مصر بالفجالة.